بسم الله الرحمن الرحيم



طمس الرموز ـ أبو مصعب السوري

الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على الضحوك القتّال، وعلى أهل بيته الطيّبين الأطهار؛ وبعد:

إن من نعم الله ـجل وعلاـ على أمة رسوله ـصلى الله عليه وسلمـ أن جدد لها جماعتها وإمامتها وكسر بهذا التجديد أصناما عُظّمت، وطُمست به "رموز" قُدّست، فكنّا نُلقَّن لعقود ومنذ نعومة أظفارنا بأن مجدّدي الدين في القرن الماضي هم البنّا ورشيد رضا والمودودي والنبهاني والكاندهلوي وغيرهم من "أئمة" الكلام والتجهّم والتصوّف والرأي، ومنهم دعاة إلى الديمقراطية والوطنية باسم "الإسلام"، والعياذ بالله.

ورُغم أنه لا مولود إلا ويولد على الفطرة، إلا أن الآباء ينصبون في قلوب الأبناء هذه الأصنام والرموز، ثم لا ترضى نفوسهم أن تُمس الرموز بشيء، ولو ضلّ الرمز ضلالا بعيدا ومات على ما دعا إليه.

فكان من نعم الله ـجل وعلاـ أن كسر بعض هذه الرموز في قلوب الخلق، وجعل تحطيمها بسيوف وأسنّة الخلافة وألسنة جندها وأقلامهم، ولم يستثنوا رمزاً من رموز الضالين، فحطموا أصنام الإخوان المرتدين حتى أوثان "السلفية الجهادية"، لكن بما أن أقواما ألفوا هذه الرموز وأُشربوها في قلوبهم بتربية "كبرائهم"، لم تستسغ نفوسهم هذا التحطيم المتواصل.

فمن "حكيم الأمة" السفيه الذي يبارك ثورة "جاءت بمحمد مرسي" ولا يكفّر الروافض المشركين الأنجاس، بل يجادل عنهم ويجعل قلمه ولسانه ترسا في وجه من يستهدفهم بالمفخخات والأحزمة الناسفات، ويجادل كذلك عن الصحوات السلولية

والوطنية والديمقراطية ويسميهم "مجاهدين شرفاء"، ويلقب نصارى مصر المحاربين "شركاء في الوطن"، في حين يجعل الموحدين المجاهدين "غلاة التكفيريين الجدد"، ويدعوهم إلى الخروج من الشام، ثم يختم كفره بمبايعة ربيب المخابرات الباكستانية، الدجال الذي أصدر البيانات الوطنية باسم أميره الميت وأظهر ولاءه لطاغوت قطر ورافضة إيران وغيرهم من أئمة الكفر، فلم يستحِ السفيه الظواهري من إعلان التزامه ببيعة لطائفة وطنية ممتنعة بشوكة عن الشرائع الظاهرة المتواترة.[1]

وطُمس رمز "الإمام الشهيد" ـإمام ضلال و"شهيد" في سبيل الدستورـ الأشعري الصوفي الوطني الديمقراطي حسن البنّا، وكان ذلك بمقالة نُشرت في مجلة دابق الإنجليزية، حيث تناولت المقالة "المرشدين العامّين" للحزب وما دعوا إليه من وحدة الأديان والتقارب السني الرافضي والمشاركة في المجالس التشريعية وتعظيم الديمقراطية و"حق" التعبير و"حق" التدين والتعددية الحزبية والنظم الدستورية والسلمية الجاحدة للجهاد وتعظيم طواغيت مصر والتجهم المعطّل للتكفير، وبينت المقالة أن مع هذه الضلالات، لا يُمكن وصف هذا الحزب بأنه حامل راية الطائفة المنصورة والذي سلم الراية لمن بعده! بل هذا الحزب طائفة مرتدة والواجب على أفرادها التوبة من الكفر، وقد ظهر حال هذا الحزب لعامة الناس خلال العقدين الماضيين، في ممارسته للديمقراطية وولائه للطواغيت والصليبيين ومظاهرته لهم على الإسلام والمسلمين.

ثم تطرقت المقالة إلى المتعاطفين مع الإخوان من أدعياء "الجهاد"، فذُكر الظواهري ودعوته إلى التعاون بين من أسماهم بـ"المجاهدين" والجماعات "الإسلامية" العاملة في "الدعوة" (دعا الظواهري هؤلاء إلى تعاون فيما بينهم على ما اتفقوا عليه ونصيحتهم بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، وهي كلمة بنّاوية ألبانية مخالفة لعقيدة الولاء والبراء)، وكذلك ذكرت المقالة صاحب نظريات التجارب والثورات والمقاومة والمؤامرات أبي مصعب السوري، والذي جعل حسن البنّا وأتباعه السلف الصادقين للطائفة المنصورة في هذا العصر! ففضح كاتب المقالة أبا مصعب السوري بأقواله الضالة في هذا الخصوص ودعوته إلى التعاون مع الرافضة ضد "الغزاة" وترك تكفيرهم لـ"جهابذة العلماء الذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد والأديان"، واستشهد الكاتب بأوضح كلام لأبي مصعب السوري، ولم يتتبعوا جميع ما في مؤلفاته من الطوام ـلكثرتهاـ والله المستعان.

ثم أنكر بعض المتعاطفين الجهلة الذين لا زالوا يحسنون الظنّ بهذه "الرموز" على كُتّاب المجلة كلامهم في السوري، رغم ضلالاته العديدة، والتي تُلخّص في النقاط التالية:

* أنه يعذر الطواغيت والمشركين بالجهل، فلا يكفّر طواغيت الإخوان ولا منتخِبيهم[2] ولا معممي الرافضة ولا عوامهم ولا القبوريين ولا "مرشديهم".

* أنه يهوّن من ضلال الأشعرية والماتريدية والصوفية والإخوان، فيُعطّل الدعوة إلى التوحيد الخالص وعقيدة السلف الصالح.

* أنه يهوّن من خطر التعصّب المذهبي، بل يدعو إلى تقليد مذهب أهل البلد، ويُعطّل بذلك اتباع النبي ـصلى الله عليه وسلمـ وسنّته.

* أنه يحذّر من التكفير وبشدة، على طريقة السرورية من المرجئة الجهمية.

* أنه متأثر بنظرية المؤامرة الضالّة على طريقة القوميين العرب.

* له أسلوب غير علمي في الطرح، حيث تأثر بكتابات عسكرية وحركية للماركسيين، فيجادل في مسائل التوحيد والجهاد

بطريقة عقلية عاطفية محضة، ثم يحكم على جهاد الموحّدين من خلال "فشل التجربة"، ناسيا أصحاب الأخدود، فله نظرة سلبية تشاؤمية تجاه أي عمل جهادي، ويدعو إلى ما أسماها "مقاومة ثورية".

وأتعجب ممن يُعظّم هذا الرجل رغم أنه كان "منظّرا" لم يشارك حقيقة في أي "تجربة" من "التجارب" التي كتب عنها إلا مشاركة سطحية، وأشهرها "التجربة السورية"، فحين خرج عدنان عقلة من حزب الإخوان وأعلن تكفيره لهم وقاتل النصيرية الباطنية والبعثية القومية إلى أن أُسر وقُتل، كان أبو مصعب السوري في العراق يستظل في ظل الطاغوت البعثي الهالك صدّام حسين، ويعمل هناك مع تنظيم الإخوان السوري، ثم ذهب إلى أفغانستان وعمل كمدرّب يتنقل بين أفغانستان وإسبانيا طيلة تلك الفترة، ثم انتقل إلى بريطانيا، ثم عاد إلى أفغانستان ليعمل فيها مدرّبا وكتب عن "التجربة الجزائرية" وجعل أكبر مصادره في نقد "التجربة" إعلام الكفرة، ثم كتب عن "تجربة طالبان"، ثم كتب عن "تجربة ابن لادن" بعد 11 أيلول ـ رغم أنه لم يدخل في تنظيم القاعدة طيلة إقامته في أفغانستان ـ ولم تخلُ "تجربة" من نقد سلبي وتشاؤم وإحباط للهمم، ولم تخلُ إقامته في بريطانيا من التحاكم إلى محاكم المملكة الصليبية الوضعية في خصومة بينه وبين صحيفة "الحياة" السلولية أواخر "التسعينات"، وما كانت الخصومة إلا أن مقالة في تلك الصحيفة نسبت إليه إمرة "الجماعة الإسلامية المسلحة" وتأليف الفتاوى التي أهدرت دماء الرؤوس الخارجين عن "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" الداخلين في "الجماعة الإسلامية المسلحة"، فسارع إلى مقاضاة تلك الصحيفة بالتحاكم إلى الطاغوت! والعياذ بالله...[3]

وبعد هذا التبيين، جعلت فيما يلي مقتطفات من كلام السوري في مسائل شتى، ولكن قبل ذلك أقول: نُسبت إليّ متأخرا مقالات في الاعتقاد وما يسمّى بتكفير "العاذر"، ولم أكتبها، ولم أطلع عليها، فآخر ما كتبته منذ مقالة "فاضحة الشام وكسر الأصنام" وحتى هذه المقالة، هو:

* الرد على المخنث الديوث

* بلغوا نساء الصحوات أنّهنّ طوالق

* أحوال المبايعين للأموات والغائبين

* السفيه الخرفان يبايع طاغوت طالبان

* ألا هذه غدرة أمراء حركة الشباب

* يهود الجهاد ـ قاعدة الظواهري

فيرجى الانتباه لهذا الأمر.

وفيما يلي أذكر بعض مقالات السوري مع تعليق يسير:

عدم تكفير السوري للرافضة:

قال السوري: "وأختصر خلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العقيدة ومسألة المذهبية في النقاط التالية... أنّ من خرج عن معتقدات أهل السنة والجماعة من الفرق الكثيرة كفرق الشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم من أهل لا إله إلا الله هم أمة الإسلام وأهل القبلة، لا يُكفّرون بالعموم، ولا تُنفى عنهم صفة الإسلام، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السنة التي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه، وهو عمل جهابذة العلماء الذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد والأديان، وليس عمل آحاد المسلمين من جهالهم وعوامهم، كما أنه ليس عمل من تفرّغ للجهاد ودفع الصائل" [دعوة المقاومة].

وقال: "مسألة الشيعة والفرق من غير أهل السنة: يعتبر الجهاديون كافة تلك الفرق من ضمن الأمة الإسلامية أو ما يُسمى بأهل القبلة... الشيعة الجعفرية (الإمامية): وهم من غالب شيعة إيران، وهم من الأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان والشرق الأوسط... يعتبرهم جمهور الجهاديين مسلمين من أهل القبلة، ضلّالا، مبتدعة" [دعوة المقاومة].

وقال فيما أسماها "العقيدة الجهادية ودستور المقاومة الإسلامية العالمية": "تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ضمن دائرة الإسلام العامة التي دعاها الفقهاء أهل القبلة، وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها، وأن مجالات ذلك هي الحوار بالحق، والبيان بالحكمة والموعظة الحسنة، وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المسلمين، وتدعوا كل المسلمين من أهل القبلة، مذاهب وجماعات وأفراد، إلى التعاون على دفع الصائل وجهاد العدو الكافر الذي يدهم بلاد المسلمين، وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي، الذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدو الكافر الغازي لبلاد المسلمين" [دعوة المقاومة].

عدم تكفير السوري لطواغيت الإخوان ومرتدّيهم الداخلين في شرك الديمقراطية وكفر الوطنية:

قال السوري: "وأما من يمارس الديمقراطية فهم أشكال وأنواع، وبالتالي تختلف أحكامهم... ولكن بالعموم أنا على مذهب من يعتقد بأن من يعتقد كفر الديمُقراطية، ومناقضة فحوى فلسفتها وتشريعاتها لمعتقد الإسلام ودين التوحيد، ولكن يمارسها من باب تأوّل حال الاستضعاف، وأنها السبيل الوحيد المتاح لتحقيق مصالح يرجوها للدعوة والإسلام والمسلمين، وأنها السبيل الممكن للوصول إلى تحكيم الشريعة في مثل هذه الظروف، ثم إبطال ما يتناقض معها، أو أنها السبيل الممكن للجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيصال صوت الحق للأمة، إلى آخر ذلك، فالمخلصون من هؤلاء معذورون بالتأويل في ممارسة الديمُقراطية ودخول مؤسساتها" [دعوة المقاومة].

وقال: "برزت ظاهرة سلبية في تحركات الطليعة وهي جنوحهم ولا سيما عدنان عقلة وبعض تلاميذه إلى التشدد وخصوصًا بعدما نحى الإخوان ذلك المنحى الشاذ في التحالف مع الإعلام السياسي الجديد، بعدما أثبته الإخوان من إصرارهم على محاصرة الطليعة ومناصبتها العداء، فأعلن عدنان عقلة أنه يُكفّر من قيادة الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية من أقرّ التحالف الوطني وما جاء به من انحرافات... ورغم وقوف العديد من المعتدلين في وجه هذا المنحى المسرف في تكفير الآخرين استمر عدنان على قناعاته به" [الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا].

وعدّ من "النقاط السلبيّة" في "تجربة الطليعة": "جُنوح الطليعة في آخر أيامها بفعل الحصار الإخواني والعراقي وتآمر كل الجهات عليها وما لاقته من الظلم والعسف في الخارج إلى التطرف، هذا التطرف أصبح سمتا ملازما لكل من ينتمي إلى الطليعة ولقد لعب الإعلام الإخواني دورا رئيسيا في تضخيمه وتكبيره لاستخدامه ضدّها، إلا أن الطليعة عاشت شيئا من هذا في الخارج، ولعل أبعد ما أوغلت فيه هو القناعة التي توصل إليها عدنان عقلة وبعض إخوانه من كُفر الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية ممن أفتى بالتحالف ورضي به طرحا وبرنامجا، وبكفر كل من قامت الحجة عليه وبقي على ولائه للقيادة وحلفها... لكن التعميم الذي ذهب إليه [عدنان عقلة] كان إسرافًا ولا شك!" [الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا].

تعظيم السوري للإخوان المرتدين وادعاؤه أن الطائفة المنصورة المجاهدة الموحّدة ورثت الراية منهم!:

قال السوري: "تُعتبر حركة الإخوان المسلمين بحق كما يدعونها الجماعة الأم لمعظم الحركات الأصولية السياسية، وحتى لكثير من الجهادية في العالم العربي والإسلامي" [دعوة المقاومة].

وقال: "كانت حركة الإخوان المسلمين ـبصورة رئيسيةـ المحضن الطبيعي الذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر، فقد كوّنت دعوة حسن البنّا رحمه الله مناخًا مناسبًا لهذه التطورات. ولا أدلّ على ذلك من شعارها الذي اختصر منهجها "الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا"... كما شكّلت ممارساتها الجهادية المبدئية دليلا آخر على صلاحية أن تكون محضنًا لميلاد التيار والفكر الجهادي في رحمها" [دعوة المقاومة].

وقال: "وُلدت بواكير الصحوة الإسلامية، وكانت دعوات إصلاح شامل، وكان جانب العقيدة الجهادية حاضراً في معظمها ولا أول على ذلك من الشعار الشهير في أم الحركات الإسلامية وقلبها، دعوة الإخوان المسلمين وما تولّد عنها من حركات في العالم العربي والإسلامي، فقد قال الشعار في حينها: الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا؛ ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأمة المعاصرة أجمع لمقومات العقيدة الجهادية من هذا الشعار الذي يجمع حذافير الدين وأساسياته وفرعياته" [دعوة المقاومة].

وقال: "ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي ومحضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هبّ على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي، وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين... أحد شطري مُكوّنات فكر التيار الجهادي المعاصر" [دعوة المقاومة].

وقال: "الموقف من مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية: جمهور القدماء من الجهاديين [والسوري يعد نفسه منهم] على احترام مدارس الصحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق، وجمهور المتأخرين من الجهاديين على حالة عداء وخصومة وتناحر معهم نتيجة حالات القهر والخذلان" [دعوة المقاومة].

وقال: "دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية... المادة 19: تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهود كل المخلصين في الصحوة الإسلامية الدعوية والإصلاحية والعلمية والدينية وغيرها، من الممارسات المشروعة شرعا، والتي تقوم بها كافة مدارس الصحوة من الدعوة والتبليغ، والسلفية، والإخوان المسلمين، وحزب التحرير وغير ذلك من مدارس الصحوة الإسلامية... جهوداً مشكورة لحفظ دين المسلمين، وإصلاح أحوالهم، وتدعوهم جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى ودعم المقاومة، وتعتبر جهودهم في الدعوة لدين الله دعماً وتقوية لجذور المقاومة في الأمة، وحفظًا لمكوناتها، وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجود المسلمين كله إلى الخطر على كافة الصعد الحضارية" [دعوة المقاومة].

قلت: طائفة تدعو منذ تأسيسها إلى وحدة الأديان والديمقراطية والوطنية والدساتير الوضعية والتعددية الحزبية والحريات الكفرية وتعظيم الطواغيت وجحود التكفير والقتال... هل هذه الطائفة مجدّدة للتوحيد والجهاد؟ أو محاربة للإسلام!

إعراضه عن دعوة التوحيد إلا فيما يقوّي "دعوة المقاومة":

قال السوري: "فعلينا ومن باب الاختصاص التفرغ اليوم للانشغال في مواجهاتنا، بما يتعلق بقضايا دعوة المقاومة، سواءً كانت مواجهات عسكرية جهادية أو سياسية أو إعلامية أو فكرية أو أدبية أو كل ما يشغلنا ويأخذ منا أي شكل من أشكال الجهد، أو يعرضنا لأي شكل من أشكال التكاليف، علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصراع، وكل ميسر لما خلق له... فكل فكرة أو رأي أو سلوك أو قول أو فعل يساعد على إطلاق المقاومة، أو تنميه جذورها بشكل مباشر فهو مقصد من مقاصد المقاومة لها في رأي وقول وعون، وكل نقيض لذلك مما يعطل المقاومة ويجفف جذورها ويعين أعداءها، فلدعوة المقاومة فيه موقف تتصدى له بما يناسبه بالأسلوب العسكري أو السياسي أو الإعلامي أو أي وسيلة مشروعة، وكما يجب ألا نتشعب ونضيع جهودنا فيما لا طائل من ورائه من الأقوال والأعمال، والدخول في صراعات الحق والباطل والخطأ والصواب التي لا تنهي، يجب أن نهتم بكل مسألة داخلة ضمن حدود دائرة الصراع، فأشكال البدع الكثيرة المتفشية اليوم في المسلمين، والانحرافات، والقبوريات، والضلالات، ومظاهر الفسوق، والمعاصي... إلخ، لا تنهي وكلها من مظاهر غياب الإمام الشرعي، وعدم الحكم بالشريعة، ظهرت بزوالها، وتزول بظهورها" [دعوة المقاومة].

لو كانت دعواه صحيحة، لزال شرك القبور بمجرد تغلب بعض من يُعظمهم السوري على بلاد المسلمين، لكن ظل شرك القباب شائعا إلى آخر عهد القبوريين من العثمانيين، الذين يقر السوري بصوفيتهم الشديدة ثم يعدّهم آخر الخلفاء الشرعيين...[4]

تمييع السوري لمسائل الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع (الأشعرية والماتريدية بل والصوفية القبورية المشركة!):

قال السوري: "وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين الأشعرية وما تفرع عنها والسلفية أو أهل الحديث وما تفرع عنها إلى أن شطبت كل منهما الأخرى من طائفة أهل السنة والجماعة واعتبر كل فريق نفسه أهل السنة والجماعة وأن عقيدته هي عقيدة الفرقة الناجية وأن الفئة الأخرى هي من الفرق الاثنين وسبعين التي في النار ... ورغم اتفاق أهل الحديث وشراحه على أن هذا لا يعني الخلود في النار لكل هذه الفرق وكل المنتسبين إليها من أهل القبلة وأمة الإسلام، إلا أن هذين الفريقين حصر كل منهما الانتماء إلى أهل السنة والجماعة، وملكية هذا اللقب بهم وشطبه عن الفريق الآخر؛ وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأمة بالاستعمار وبلائه، ثم بحكومات الاستقلال الاستعماري، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانية الفكرية والسياسية المعاصرة، من ضعف التدين في الأمة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العشرين، وهكذا نامت هذه المشكلة فترة وجيزة، لتستيقظ مرة أخرى مع نشوء مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة، وعادت مع نشوء مدارس التيار السلفي المعاصر وحملته على المذهبية والأشعرية، وبقاء معظم أوساط مدارس الصحوة الأخرى بعقائد الأشعرية، ولا سيما المدارس الإصلاحية، وجماعات التبليغ والدعوة، والمتصوفة وسواهم، وكذلك أكثر العلماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة؛ ومع اختيار معظم الجهاديين للعقيدة السلفية وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي، وصلت المشكلة إلينا أخيراً، مما جعلها أحد الفقرات الهامة التي اهتممت بالكتابة فيها وأنا أعرض لملامح عقيدتنا في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، لكونها إحدى الإشكالات العويصة على طريق الجهاد والمقاومة ودفع الصائل، لأنها بصورتها النهائية تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثم فكري ثم حركي، وأسباب احتراب داخلي، داخل صفوف المسلمين وأوساط المقاومة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم وهدير طائراتهم، وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية، وتنصب قذائفهم وحممهم على رؤوسنا من السماء والأرض والبحر، ولو لا ذلك لما تعرضت لهذه القصة؛ وقد كان أول اهتمامي بهذه المشكلة أيام الجهاد العربي في أفغانستان، حيث حضر في الساحة العديد من العلماء الجهاديين السلفيين، ومن أندادهم من المدرسة الأخرى الأشعرية، وكان علماء الأفغان والباكستان وشبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المسلمين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا، وقد كان هذا سبب هوة كبيرة بين المجاهدين العرب وكل هؤلاء، هوة سببت مشكلة حقيقية في تلك الساحة، وقد التقطت الاستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ"بي بي سي" تروج

لمشكلة الوهابية في أفغانستان، وعبثا حاول الشيخ عبد الله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر... وليس هنا محل تفصيل ذلك؛ ثم بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجهاد في الجزائر (1994-1997) الذي قادته الجماعة الإسلامية المسلحة قبل انحراف قيادتها كما بينت في الجزء الأول، انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المسلحة (السلفية المنهج)، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجهاد في الجزائر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين! وكان ذلك مأساة أخرى رأيت آثارها بنفسي؛ ثم تكررت المشكلة خلال الشوط الثاني للأفغان العرب أيام طالبان، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديين السلفيين من العرب والإمارة الشرعية في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطالبان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون، لا يقلون تعصبا لما ذهبوا إليه من كثير من إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السلفية، وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة التي تأتي في غير وقتها، لشدة ما نعيشه من هجمة الأعداء، وقد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا الباب الخاص بمسألة العقيدة عامة، والعقيدة الجهادية للمقاومة خاصة من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها على صفنا الجهادي، ولأنها مشكلة عقيدة ودين."

"فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصحيح الذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً، ثم لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المجاهدين ومن بلغ من المسلمين، وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية، ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأي هذا السببين: أولهما أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدين، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات؛ والثاني أن الوسط الجهادي الذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها، ولكن شجعني على ذلك أمران أيضاً: أولهما ضرورة توحيد صف أهل السنة والجماعة في الجهاد والمقاومة، وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المجاهدين والمقاومين على الأقل؛ وثانيهما أني وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العلماء المجاهدين قد توصل من قبل إلى ما توصلت إليه بجهدي الضعيف منفردا، وكتب ذلك بصراحة ووضوح، ولا شك أن له أقراناً من علماء هذا الزمان ممن لم أطلع على آرائهم..."

"... وأختصر خلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العقيدة ومسألة المذهبية في النقاط التالية: ففي موضوع العقيدة: 1) أن مذهب السلف في الاعتقاد الذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصحيح وبه أدين لله سبحانه وتعالى، وهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية إن شاء الله؛ 2) أن مذهب الأشاعرة أو مذهب الخلف، قد جانب الصواب باتخاذه من التأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأمة، ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السنة والجماعة، وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب، تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى مذهب السلف من علماء اليوم، ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولا سيما في مسائل الحاكمية، ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السنة، كما يفعل بعضهم اليوم، ويدخلون الناس ويخرجونهم من أهل السنة" [دعوة المقاومة].

وفي بحث حول وجوب القتال وراء كل إمام ـبرا كان أو فاجراـ بعد أن ذكر المماليك والأيوبيين ودلّس فأوهم القارئ أن قادة هؤلاء وأمراءهم الكبار كانوا قبوريين، وذلك ليبيح القتال تحت الرايات الشركية ويجعلها مجرد راية بدعية على أصوله في العذر بالجهل! قال: "وذهب المماليك وجاء العثمانيون، وما العثمانيون؟ لقد طبعهم الجهل والظلم والبطش. ولقد حفظ الله بهم الإسلام، وفتح على أيديهم عاصمة الروم قسطنطينية ... فرفعوا فيها الأذان فصارت عقر دار الإسلام وعاصمة الخلافة إلى أيام آبائنا إلى أن زالت خلافتنا منذ سبعين سنة فقط! فهل ترك أئمة الإسلام الجهاد معهم لأنهم أحناف صوفية؟! هل تركوا جهاد الأعداء معهم طلباً ودفعاً؟! يكفي العثمانيين أن من أحد مفاخرهم أنهم كانوا لا يسمحون لسفن النصارى أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأنهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله النصارى! وكانت سفن العثمانيين تتسلم بضائع التجار النصارى عند اليمن وتنقلها لهم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط، ومن آخر ملوكهم السلطان عبد المجيد في القرن السابع عشر، كان يسمى البحر المتوسط البحيرة العثمانية، فسأله صحافي إنجليزي إذا كان المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة عثمانية؟ فما البحر الأسود الذي يحيط به

ملك الإسلام وجيوش الخلافة العثمانية فعلاً؟ فقال السلطان العثماني: البحر الأسود هو مسبح قصري! هكذا كان على أيديهم مجد الإسلام، وقد جاهد المسلمون معهم وقصصهم مشهورة".

"وبقي الأمر كله كذلك حتى زالت دولة الخلافة، وجاءت جيوش الروم في الموجة الصليبية الثانية في القرن التاسع عشر والعشرين، وعلى رأسهم إنكلترا وفرنسا ودول أوربا وروسيا في وسط آسيا، فمن جاهدهم على مر نصف قرن ومن أخرجهم من مشرق العالم الإسلامي؟ لقد جاهد علماء الهند والباكستان من الديوبندية والصوفية والأحناف، جاهدوا الإنجليز 130 سنة وأخرجوهم، وكذلك فعل الأحناف الصوفية في أفغانستان، وأوقعوا في الحشد الإنجليزي مذبحة ذات مرة أتت على حملة من عشرة آلاف رجل وقيل ثلاثين ألف رجل، لم ينجو منهم إلا رجل واحداً! تركوه حتى يقص القصة لملكة بريطانيا، أما الأحناف الصوفية في وادي فرغانة (في وسط آسيا من بلاد أوزبكستان) فقد أذاقوا الروس الويل، فقد جاهدهم كذلك الإمام شامل الشافعي الأشعري الصوفي الروس ستين سنة في القفقاس، وقصته شهيرة تروى رحمه الله."

"وأما في بلاد الشام فقد قام المشايخ الصوفية الأشاعرة وعلماء المذهب الحنفي والشافعي فجاهدوا الفرنسيين ثم الإنجليز، وأما في ليبيا فقد قامت ثورات على يد المشايخ المالكية الصوفية الأشعرية ومن أشهرهم عمر المختار رحمه الله، وكذلك شيوخ الطريقة السنوسية قبله وبعده، وفي السودان قامت الصوفية بالثورة المهدية التي أخرجت الإنجليز، وفي الجزائر قامت ثورات كثيرة على يد الصوفية المالكية الأشعرية أشهرها، ثورة أبو عمامة وثورة عبد القادر الجزائري، وفي تونس مثل ذلك، فقد قام علماء الزيتونة وهم مالكية أشعرية قاموا على الفرنسيين، وفي المغرب قام عبد الكريم الخطابي وهو مالكي صوفي أشعري بثورة انتهت بإقامة جمهورية إسلامية استمرت حتى عام 1963 وللأسف فربما لا يعرفون الأكثرون هذا؟! وقد انتصر في معاركه الشهيرة على جيوش خمس دول أوربية مجتمعة، وأسر في واحدة منها وتسمى معركة أنوال الشهيرة أكثر من عشرة آلاف أسير فيهم مائة جنرال ومارشال من جيوش الأوربيين حتى تدخلت أمريكا وقالوا عاد الإسلام ليفتح أوربا، وهذا الرجل قد ظلم تاريخه وقد قرأت من العجائب مرة قولاً لماوتسي تونغ (الذي يعتبر من أشهر منظري حرب العصابات) يقول في كتابه "ستة مقالات عسكرية" عن الخطابي: أنه من أعظم أساتذته العسكريين في حرب العصابات! وهو لم يره ولكنه درس تجاربه. في حين لا يسمع بالخطابي معظم أبنائنا اليوم، ولكنهم يعرفون غوار الطوشة ونجوم أكاديمي ستار، وقصة حياة مارادونا، ومغامرات مادونا وفكاهات فيفي عبده!".

"وفي إفريقيا السوداء قصص عظيمة لم تصلنا لجهلنا بتاريخنا، وقد دخل الإسلام أفريقيا من ليبيا والجزائر والمغرب والسودان عن طريق الصوفية الذين قارعوا الاستعمار زماناً، وهذا هو الحال في دول شرق آسيا وماليزيا، ومن الفلبين حتى إندونيسيا، ثم كان من آخر جهاد المسلمين ما كان في أفغانستان على أيدي الأحناف الصوفية الذين لم يعجبوا كثيرا من إخواننا..." [دعوة المقاومة].

وقال: "مسألة الصوفية: تأثر جمهور الجهاديين بمنهج ابن تيمية والمدرسة السلفية في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة واعتبارها من مناهج البدع والضلال، وتشدد البعض في هذه المسألة، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين" [دعوة المقاومة].

قلت: لو نقلت كل ما قاله السوري في الدفاع عن الأشاعرة والماتريدية والصوفية وتعظيم رموزهم ـكالمقاومة الصوفية الوطنية للاستعمار الأوروبيـ والجدال عنهم والاستهزاء بمن أنكر عليهم ضلالاتهم، لطالت المقالة، والله المستعان، علما أنه يجهل حقيقة الأشعرية، فيظن أن الخلاف بينهم وبين السلف محصور في توحيد الأسماء والصفات، وهذا باطل، وقد قال بعض السلف أن الأشاعرة هم مخانيث الجهمية، فهم على طريقة جهم في الجبر والإرجاء والكلام، ما أوقعهم في ضلالات شتى في: التوحيد، والنبوات، وكلام الله، وحقيقة الإيمان، والأسباب والمسببات، وحكمة الله، وأحاديث الآحاد... إلخ، والله المستعان.

والظاهر من جداله عن الصوفية أنه يعد نفسه ممن أسماهم "أقلية الجهاديين" التي "اعتدلت في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين"، علما أن من تدليس السوري جمعه المكرر بين "السلفية الجهادية" و"السلفية" السلولية في استهزائه بمن يطعن في صوفيته "الجهادية" المزعومة، ولو كان في العراق لعله كان مجادلا عن "جيش رجال الطريقة النقشبندية"...

دعوة السوري إلى تقليد المذهب السائد في البلاد، وذلك لاستمالة العوام، فيترك المجاهد الموحد رفع اليدين قبل الركوع وبعده ويزوج المسلمة دون إذن وليها في كل بلد حنفي، ويترك وضع اليد اليمنى على اليسرى في كل بلد مالكي، إلخ:

قال السوري: "أنصح الشباب وطلاب العلم ... بأن يتفقهوا على مذهب من المذاهب يختارونه، وأنصحهم ولا سيما شباب الصحوة والجهاد بأن يتفقهوا على أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم وجهادهم حتى لا يحول شذوذهم عما ألف الناس من الفقه والأحكام بينهم وبين الناس" [دعوة المقاومة].

فبعد هذا، هل يستنكر مجاهد الطعن في أبي مصعب السوري؟ أم أنه سيحمد الله أن فُضح هذا الرجل وفُضحت أفكاره حتى يحذره الناس؟

كتبه

أبو ميسرة الشامي

غفر الله له

الهامش:

(1) للعلم، إن الأمراء الكبار في الخلافة لم يكونوا يتابعون رسائل الظواهري لطولها وكثرتها وانشغالهم عنها بالجهاد، إلا بعد صحوة الردة الغادرة، حيث بدأ الظواهري يكشف بكلامه الجديد عما كان مدفونا بين الأسطر وفي التاريخ، فكانوا لسنوات يظنونه يجهل حال الروافض ويجهل أن الشرك الأكبر هو الأصل فيهم، وذلك لقلة الروافض خارج العراق وإيران ـخاصة في مصر، حيث نشأت الدعوة للتقارب السني الرافضي ـ فظنوا أن الظواهري يعذرهم بالجهل فيما دون الشرك من الضلال، ثم ظل الظواهري في طريق الضلال حتى لم يترك طائفة مرتدة إلا وقد ظاهرها على الإسلام والمسلمين، أسأل الله أن يجعل هلاكه على أيدي إخواننا في ولاية خراسان.

(2) تكفير أئمة الدولة الإسلامية للمنتخِبين أمر مشهور، قال الإمام أبو مصعب الزرقاوي، تقبله الله: "فلهذه الدواعي وغيرها أعلنا الحرب اللدود على هذا المنهج الخبيث، وبينّا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلة، والطريقة الخاسرة، فكل من يسعى في قيام هذا المنهج بالمعونة والمساعدة فهو متول له ولأهله، وحكمه كحكم الداعين إليه والمظاهرين له، والمرشَّحون للانتخاب هم أدعياء للربوبية والألوهية، والمنتخِبون لهم قد اتخذوهم أربابا وشركاء من دون الله، وحكمهم في دين الله: الكفر والخروج عن الإسلام، اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد" [ولتستبين سبيل المجرمين].

(3) قال أبو مصعب السوري بعد كلام طويل حول الخلاف بينه وبين صحيفة الحياة السلولية: "ونصحني بعض المخلصين أن أحاكم جريدة الحياة أمام القضاء الإنكليزي، وكان ذلك حلما خياليا، فمن أين لي دفع تكاليف المحكمة والمحامين، وقد علمت لدى أول تقييم لذلك أنه يكلف مبالغ أسمع عنها في الأفلام فقط! ولكن ما كان حلما حققه الله تعالى، فقد كان كسب القضية مؤكدا، وقيض الله لي بعض الأصدقاء ليقرضني التكاليف الأولية بعد أن أكد عدة محامون ربحها، وتوقع إلزام الجريدة بدفع تعويض ضخم لي جراء تشويه السمعة الذي يعرض حياتي للخطر، وكان القضاء البريطاني على حد من النزاهة يقنع بالوثوق به ... وجرت تفاصيل ووقائع في سير تلك القضية ليس هنا محل الإفاضة فيها، ولكن النتيجة أن جريدة الحياة بعد أن عجزت عن الحصول على أي دليل على مزاعمها الخطيرة ورضخت بعد عدة أشهر وعرضت الصلح، الذي اتفقت عليه معهم بعد مفاوضات بوساطة كاتبهم كمتل الطويل، وكان ذلك يقضي1 :) أن يكتبوا في نص وثيقة الصلح التي ستسجل في المحكمة البريطانية، أن كل ما نسبوه إلي من تهم وتشويه كان محض كذب وافتراء جراء عدم توثقهم وإخلالهم بأصول المهنة الصحفية، وأنهم اعتمدوا روايات شهود غير موثوقين، وأنني بريء من كل ما نسبوه إلي من الكذب. 2) أن ينشروا نص اعتذار باللغة العربية في صحيفتهم يثبتون فيه ذلك أيضا، على أن أكتب أنا اعتذارهم لي كما أحب! وهذا ما كتبته واضطروا لنشره! 3) أن يدفعوا لي تعويضا عن أذاهم. 4) أن يدفعوا تكاليف المحامي الذي تولى الدفاع عن قضيتي. 5) أن يدفعوا كامل تكاليف المحكمة، فضلا عما تكبدوه من أجور فريق محامييهم! وقد نفذ كل ذلك بعون الله، وتمكنت من سداد ديوني التي تراكمت، وتبقى معي ما أعانني الله به على الهجرة إلى أفغانستان الطالبان بعد وقت وجيز، ولله الحمد" [مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر].

قال الله ـ جل وعلا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [سورة النساء: 62].

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله: "وقوله تعالى: {وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}، أي بالطاغوت وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم إليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله، وقوله: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}، أي: لأن إرادة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ـصلى الله عليه وسلمـ من طاعة الشيطان، وهو إنما يدعو أحزابه ليكونوا من أصحاب السعير، وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت ـالذي هو ما سوى الكتاب والسنةـ من الفرائض وأن التحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم" [تيسير العزيز الحميد].

وقال سليمان بن سحمان: "إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل، قال: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}، وقال: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}، والفتنة: هي الكفر، فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتا يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ... [و] إذا كان هذا التحاكم كفرا، والنّزاع إنما يكون لأجل الدنيا، فكيف يجوز لك أن تكفر لأجل ذلك؟ فإنه لا يؤمن الإنسان، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فلو ذهبت دنياك كلها لما جاز لك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها، ولو اضطرك مضطر وخيّرك بين أن تحاكم إلى الطاغوت أو تبذل دنياك، لوجب عليك البذل، ولم يجز لك المحاكمة إلى الطاغوت" [الدرر السنية].

(4) لمعرفة حقيقة الدولة العثمانية، راجع: "الدولة العثمانية وموقف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منها" للشيخ ناصر الفهد، فك الله أسره؛ وبعد أن نقل الشيخ أبو جندل الأزدي ـتقبله اللهـ فقرات من هذه الرسالة تحت عنوان "اعتذار وفائدة مهمة"، قال: "ومنه تعلم خطأ من انخدع بهذه الدولة ووصفها بأنّها آخر معقل من معاقل الإسلام والذي بهدمه ذهبت عزة المسلمين! والتاريخ الصادق يثبت خلاف ذلك" [سلسلة العلاقات الدولية في الإسلام 3]، وحال الدولة العثمانية كان أشد ظهورا في حربها على التوحيد في الحجاز ونجد وقد آل بها إلى قتل الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـرحمهم اللهـ وغيره من العلماء والأمراء المجدّدين للدين.

للتحميل

doc

http://www.up-00.com/?swhy

pdf

http://www.up-00.com/?uwhy

5 شعبان 1437 هـ